

حزب الله يعيد رسم المشهد..

من الضربة الكبرى إلى إستعراض القوة في التشيع المليونى

الوفاء
د. كرم شمس

على مدى ٧٠ يوماً فقط، انتقل حزب الله من مواجهة واحدة من أعنف الضربات التي استهدفت قيادته إلى تنظيم واحدة من أكبر الفعاليات الجماهيرية في تاريخ لبنان، حيث حوّل تشييع أمينه العام

الشهيد السيد حسن نصر الله إلى استعراض غير مسبوق للقوة السياسية والشعبية والتنظيمية. كان الحدث أكثر من مجرد وداع؛ لقد شكّل لحظة إعادة تأكيد للمعادلة التي تحكم الصراع مع العدو الصهيوني، ورسالة واضحة بأنّ الحزب لم يفقد تماسكه، بل ظهر أقوى مما توقع خصومه.

توقع العدو الصهيوني، ومع بعض القوى الداخلية والخارجية، أن اغتيال السيد نصر الله سيؤدي إلى إضعاف الحزب، أو على الأقل إلى تراجع حضوره الشعبي وإرباك بنيته التنظيمية؛ لكنّ التشييع الذي شارك فيه نحو ١,٤ مليون شخص في بيروت جاء ليبدد كل هذه التوقعات، ويؤكد أنّ الحزب ليس مجرد كيان عسكري، بل منظومة متماسكة قادرة على استيعاب الضربات والعودة بسرعة إلى المشهد بقوة أكبر.



أولاً: التشييع ليس وداعاً، بل لحظة تثبيت للشرعية

لم يكن التشييع مجرد لحظة تأبين عاطفية لقائد راحل، بل كان بمثابة استفتاء شعبي ورسالة متعددة الأبعاد إلى الداخل اللبناني والخارج. فعندما تتحرك مئات الآلاف من مختلف المناطق، وتجتمع بهذا الحجم والانضباط، فهذا ليس مجرد حدث جنائزي، بل هو إثبات عملي أنّ الحزب لا يزال يتمتع بقاعدة شعبية راسخة، وأن استهداف قيادته لا يضعف مشروعه بل يعزز الانتفاخ حوله.

ما الذي جعل التشييع لحظة سياسية بامتياز؟

* الزخم الجماهيري الهائل: خروج ١,٤ مليون شخص في ظل تحديات أمنية وسياسية واقتصادية يعكس أنّ الحزب لا يزال يمتلك القدرة على الحشد والتعبئة، رغم كل الظروف.

* الانضباط التنظيمي العالي: لم يكن هناك فوضى أو اختراقات أمنية، مما يعكس أنّ الحزب نجح في إعادة ترتيب صفوفه خلال فترة وجيزة، ولم يكن هناك أي خلل في بنيته الداخلية.

* الحضور الإقليمي والدولي: مشاركة وفود من إيران، العراق، سوريا، اليمن، وممثلين عن تيارات يسارية وقومية معارضة لحلف الناتو، أظهرت أنّ الحزب لا يزال جزءاً أساسياً من معادلة المقاومة الإقليمية.

ثانياً: تحليل طائرات العدو الصهيوني.. من استعراض القوة إلى فشل الردع

في لحظة صادمة، وبينما كانت الحشود في ذروة التأثر العاطفي بالتشييع، حلقت طائرات العدو

الصهيوني على ارتفاع منخفض فوق ملعب كميل شمعون، في محاولة لبت الرعب وأرسال رسالة ردة؛ لكن ردة فعل الجماهير جاءت معاكسة تماماً؛ إذ لم يهرب أحد، بل تحولت لحظة الاستفزاز إلى لحظة تحدّ جماعي، حيث علت الهتافات: «الموت لإسرائيل.. الموت لأمريكا»، وهو مشهد وثّقته وسائل الإعلام الغربية وأثار ردود فعل واسعة.

لماذا فشل الاستفزاز الصهيوني؟

١- تحوّل لحظة الخوف إلى لحظة صمود: بدلاً من خلق حالة ذعر، أدى التحليل العدواني إلى المقاومة باتت راسخة ليس فقط ككيان سياسي، بل كحالة جماعية في الوجدان الشعبي.

٢- تأكيد فشل رهان العدو الصهيوني: توقع العدو الصهيوني أن يؤدي اغتيال السيد حسن نصر الله إلى تفكك الحزب أو على الأقل فقدانه للقدرة على الحشد؛ لكن المشهد أكد العكس تماماً.

٣- إثبات محدودية الردع الصهيوني: لو كان العدو الصهيوني قادر على إنهاء الحزب، لما لجأ إلى استعراض رمزي لا أكثر، دون قدرة فعلية على فرض واقع جديد على الأرض.

ثالثاً: خطاب نعيم قاسم.. إعلان استمرار المعركة لانهايتها

جاء خطاب الشيخ نعيم قاسم، الأمين العام الجديد لحزب الله، ليؤكد أنّ استشهاد القائد الأسى السيد حسن نصر الله ليس نقطة ضعف، بل بداية مرحلة جديدة من المواجهة، حيث أعاد تثبيت الأسس التي حكمت المقاومة طوال العقود الماضية.

المرجوة.

ماهي أبرز رسائل الخطاب؟

* التأكيد على أنّ المقاومة لا ترتبط بشخص، بل هي مشروع مستمر، وأنّ الحزب لا يزال موحدًا وقادراً على خوض أي مواجهة مستقبلية.

رابعاً: كيف يمكن قراءة الحدث لدى العدو الصهيوني؟

تحسّس تغطية العدو الصهيوني، وخاصة في وسائل الإعلام العبرية، مثل «القناة ١٢» و«زمان إسرائيل»، أنّ التشييع كان بمثابة صغعة لعدو، حيث تبين أنّ رهاناته على تفكيك الحزب باءت بالفشل، وأنّ المقاومة استعادت توازنها بسرعة قياسية.

لماذا يمثل التشييع إرباكاً استراتيجياً للعدو؟

١- التشكيك في فعالية الضربات العسكرية: إذا كان الهدف من الحرب هو إضعاف حزب الله، فالتشييع أثبت أنّ الحزب لم يتأثر جوهرياً، بل أعاد ترتيب صفوفه بقوة.

٢- إظهار فشل الرهان على انهيار البيئة الحاضنة: كانت هناك تقديرات من العدو بأنّ الجمهور الشيعي في لبنان قد بدأ بالابتعاد عن الحزب بسبب الحرب؛ لكنّ الحشد الكبير أكد عكس ذلك تماماً.

٣- فرض معادلة جديدة في الردع: كانت خاطئة من هناء، يمكن القول الصهيوني يدرك أنّ الحزب قادر على إعادة التموّج بسرعة، وأنّ أي مواجهة جديدة قد لا تحقق النتائج

خامساً: ماذا يعني هذا للبنان؟

يمكن للبنان استثمار هذا الحدث للتأكيد على أنّ أي محاولات لعزل حزب الله أو فرض نزع سلاحه لن تنجح، لأنّ الحزب ليس مجرد ميليشيا، بل هو جزء من معادلة داخلية وإقليمية لا يمكن تجاوزها.

كيف يمكن للبنان استغلال الحدث دبلوماسياً؟

* تأكيد أنّ الحل الوحيد للاستقرار يكمن في إنهاء الاحتلال الصهيوني للمناطق اللبنانية، بدلاً من الضغط الداخلي لنزع سلاح المقاومة.

* إظهار أنّ المقاومة ليست خياراً لفصيل معين، بل هي حالة شعبية عكستها الحشود في التشييع، ما يجعل أي قرار بشأنها يحتاج إلى توافق داخلي حقيقي.

* تحويل الحدث إلى ورقة ضغط في المفاوضات الدولية، بحيث يصبح الحديث عن المقاومة جزءاً من تسوية إقليمية شاملة، وليس مجرد قضية داخلية لبنانية.

الخاتمة: حزب الله يعيد رسم المعادلة

على مدى ٧٠ يوماً فقط، انتقل حزب الله من تلقي ضربة قاسية باغتيال قائده إلى إعادة فرض حضوره بقوة عبر حشد جماهيري غير مسبوق. كان التشييع أكثر من مجرد مراسم وداع، كان لحظة إعادة ترتيب للمشهد السياسي، ورسالة واضحة بأنّ الحزب لا يزال حاضرًا، وأنّ حسابات خصومه بعد هذا التشييع، بات العدو الصهيوني يدرك أنّ الحزب قادر على إعادة التموّج بسرعة، وأنّ أي مواجهة جديدة قد لا تحقق النتائج

تونس

وفي تونس، أقام المواطنون التونسيون تشييعاً رمزياً رفيعاً خلاله نعيشاً رمزياً للشهيد، كما رفعوا رايات حزب الله وصور الشهيد السيد حسن نصر الله.

فلسطين المحتلة

وفي غزة، شدد الأهالي على أنّ السيد نصر الله كان دائماً صوّتاً حازماً في الدفاع عن القضية الفلسطينية والوقوف إلى جانب غزة في محنتها. وفي رام الله بالضفة الغربية، أقيمت وقفة وفاء لسيد المقاومة الذي استشهد في حرب إسناد الشعب الفلسطيني؛ لكن سرعان ما قامت أجهزة أمن السلطة بقمع الوقفة وتفريق المحتشدين.

وداع مليوني حزيني

وفي مشهد يفيض بالحزن والأسى، كان أكثر من مليون ونصف المليون مشيّع قد احتشد في شوارع بيروت، مودعين الأمين العام لحزب الله سيد شهداء الأمة السيد حسن نصر الله وخليفته الشهيد السيد هاشم صفي الدين، في واحدة من كبرى الجنائز التي شهدتها لبنان تاريخياً. وتوافدت الجموع الغفيرة من مختلف المناطق اللبنانية، ومن دول عربية وأوروبية، لتشارك في وداع استثنائي، جسّد حجم الفقدان، وألقى بظلاله الثقيلة على قلوب المشيعين.

اليمن

وفي اليمن، أقيمت فعالية التأبين والتشييع الرمزي لقادة المقاومة في جامع الشعب في العاصمة صنعاء، وسط حضور رسمي وعلمائي وسياسي، حيث شدد المشاركون على أنّ خسارة الشهيدين فادحة، مجددين العزاء لكل الأمة الإسلامية لفقدانها.

البحرين

أما في البحرين، فقد نظمت الجماهير تشييعاً رمزياً لسيد المقاومة حمل المشاركون فيه نعشين رمزيين وصور الشهيد السيد نصر الله ورفيق دربه السيد هاشم صفي الدين، إلى جانب أعلام المقاومة وصور شهداء البحرين.

باكستان

كما عاهد الشعب الباكستاني سيد شهداء الأمة، في مراسم حاشدة، على مواصلة دربه واستكمال نهجه المقاوم المحق مهما كانت الأثمان. وقال السيد جاويد شيرازي (عالم دين): «السيد نصر الله فخر هذه الأمة الذي منحها العز والنصر، هو مثالنا الأسى الذي لن نتخلى عنه وستمسك بنهجه المقاوم المقدس، وسنعمل جاهدين على تحقيق كل تطلعاته». وقال محمد حسن (مشارك): «الشهيد نصر الله ضحي بروحه المباركة في أقدس معركة ضد أعنى أعداء الله، لذلك فإن ما يمكن أن نقدمه أن نواصل دربه الحق للقضاء على هذا العدو الصهيوني».

عاشوراء، كما حضر وفد من الحزب السوري القومي الاجتماعي ووفد من ضباط الأمن الداخلي والأمن العام ووفد من اللقاء الإعلامي الوطني.

وقدم رئيس حركة الشعب النائب السابق نجاح واكيم واجب العزاء بالشهيدين العزيزين. كما حضر النواب علي خريس وأيوب حميد، وأميل إميل لحدود والوزير السابق زاهر الخطيب إلى باحة عاشوراء لتقديم التعازي والتبريكات.

وكان حزب الله قد أعلن عن تقبل قيادته التعازي بمناسبة استشهاد سيد شهداء الأمة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله (رض) والأمين العام الشهيد حجة الإسلام والمسلمين السيد هاشم صفي الدين (رض)، وذلك نهار الثلاثاء والأربعاء (٢٥ و٢٦ شباط ٢٠٢٥) في باحة عاشوراء - الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت.

تشييع رمزي لسيد المقاومة

في السياق، ليس لبنان وحده الذي شيع جنمان الشهيد السيد حسن نصر الله، بل شارك مئات الآلاف في تشييع رمزي لسيد المقاومة في العراق واليمن والبحرين وفلسطين وغيرها من البلدان الأخرى. ففي العاصمة بغداد والمدن والمحافظة العراقية الأخرى شارك آلاف الأشخاص في تشييع رمزي للسيد حسن نصر الله، أعرب فيها المعززون عن مشاعرهم تجاه المقاومة وسيدّها الشهيد.

وفود رسمية وشعبية تقدّم التعازي والتبريكات بالشهيد الشهيدين

الشعوب الإسلامية

والعربية تعاهد بالسير

على نهج الشهيد نصر الله

تقبّل حزب الله لبنان التعازي بالشهيد الأقدس سماحة السيد حسن نصر الله والشهيد السيد الهاشمي هاشم صفي الدين في باحة عاشوراء - منطقة الجاموس في الضاحية الجنوبية، حيث توافدت منذ الصباح الباكر من يوم الثلاثاء الوفود الرسمية والشعبية إلى الباحة لتقديم التعازي والتبريكات. كما شهدت الباحة حضوراً واسعاً لعلماء دين وشخصيات سياسية واجتماعية وإعلامية، بالإضافة إلى الوفود العربية والأجنبية، ووفد الجمهورية الإسلامية الإيرانية. كذلك حضر ممثل المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني في لبنان السيد حامد الخفاف إلى باحة

حضور استثنائي

ووسط الزحام والدموع، تحدث القادمون من مختلف الدول عن حزنهم العميق، وهو ما انعكس في كلام باقر الجابري، القادم من العراق، قائلاً: «باستشهاد سيد المقاومة وسيد الجهاد، جئتنا نحن المواكب العراقية، خاصة موكب جمعية أنصار الإمام الخيرية، لنشارك إخوتنا اللبنانيين حزنهم، ولنكون في خدمة المعزين والمشيعين».

أما آيات أيوب الفلسطينية، فتعبر عن امتنانها وحزنها في آن واحد، وتقول: «حضرنا اليوم لنؤكد وجودنا وولادنا، ولنعلن أننا باقون على خطاه، ماضون في مسيرته، نحن ممتنون جداً للشعب اللبناني، ولأهل الجنوب الذين لم يساوموا على الحق».

ومن اليمن، جاء جميل محمد أحمد، متحدّثاً بحرقة وغضب: «جئنا لتشيع سيد الشهداء وسيد الأمة، ولولا الإجراءات المشددة لكان كل الشعب اليمني هنا، لقد كان هذا الرجل العظيم نصيراً للعرب والمسلمين، قدم كل شيء، لنصرة الحق، ودعم أهل غزة ورفع راية الإسلام هناك».

أما الطفلة زهراء، التي وقفت بعينها الواسعتين وسط الحشد، فكان لكلماتها وقع خاص، إذ قالت بصوت بري: «عندما استشهد، شعرنا بحزن عميق، لقد فقدناه؛ لكنه الآن في الجنة، ومع ذلك نشعر أنه مازال معنا على هذه الأرض».